من تراب الطريق (٣٣٠) الخاتم (*)

مع الحديث الثانى من قصيدة الخاتم بديوان العارف ، لأبى الروحى وأستاذى الأديب الشاعر الحكيم محمد عبد الله محمد المحامى ، طفت أسبح مع هذا العبقرى الفذ الذى طفق يتساءل .. هل غادره الطفل الذى بداخله ؟! .. فقد ساء خطو العمر ، وأمسى محرومًا من لعب يهون رحلته ، أو ضحك يمازج دموعه .. فكيف تطاير حماس بدايات الحياة ، وانفرد به العقل الوقور يملى ما يريده وينشده ؟!

يقول المفكر الشاعر الحكيم محمد عبد الله محمد :

أغَادرَنِي الطِّفْلُ الذى كَانَ دَاخِلِى ... لقدسَاءَخطْوُالعُمْرِفىدَاخِلِى صُنْعَا
أُمْسِى بلاَ لَعِبٍ يُهَوِّنُ رِحْلَتِي ... ولاضَحِكٍ يَتْلُو مَبَاشَرةً دَمْعَا
حَمَاسِي بِدَايَاتُ الحَيَاةِ تَطَايَرَت ... خَوَافِيهِ بَلْ نَزَعَتْ قَوَادِمَهُ نَزْعَا
لِيَنْفَرد العَقْلُ الوَقورُ بِفِرْقَتِي ... يُلَحَّنُ ما يُمْلِى وَنُنْشِدُهُ جَمْعَا

***

وَصَعْبٌ عَلَى عَقْلِى تَصوُّر رِقَّةٍ ... لَدَى غَيْرِ ذِي قَلْبٍ يَرِقُّ وَيأْلَمُ
ويَسْهرُ لا يألُو التِفَاتَ مَوَدَّةٍ ... إلَيْنا ولاَ لَحْمٌ هُنَاكَ ولاَ دَمُ
حَنَانَكَ إنسانِيَّةُ الإنْسِ كُلُّهَا ... إلَهِيَّةٌ فيها الغريزَةُ تَفْهَمُ
هَلْ الوَرْدُ إلاَّ الرَّوْضُ عَبَّرَ عِطْرُهُ ... عَنْ الرَّوْضِ إذْ يَشكُو وإذْ يَتَبَسَّمُ ؟

***

(*) المال ١٧/ ٩/ ٢٠٠٩

وَثَبْتُ علىَ الأمواجِ والريحِ والثَّرى ... وما زِلْتُ مَنْ وَثْبٍ يَفِرُّ إلَى وَثْبِ
شَرَارَةُ غَيْبٍ ذي دَهَاءٍ يقودُهَا ... يُحِيطُ بِهافي القَفْزِواللَّبْثِ والكَسْبِ
لِيُطْفِئَهَا طُولُ الطَّرِيقِ وَرَمْلُها ... وَشِدَّةُ بَرْدِاللَّيْلِ فِي المُنْحَنَى الصَّعْبِ
نَفَدْتَ إذا مَاتَ الشَّرَارُ وأقْفَرَتْ ... مَنَ القَفْزِ أحْلاَمٌ وصِرْتَ بَلاَ قَلْبِ

***

أُغَنِّى بألْفَاظٍ مَواتٍ تَحَجَّرَتْ ... فَأعْوِى كما تَعْوِى الرِّياحُ علَى القَفْرِ
وماضَحِكَتْ فيها الحروفُ ولابَكَتْ ... ولاارتَعَدَتْ خَوْفًاولاانْفَلَتَتْ تَجْرِى
يُجَفِّفُ إحْسَاسَ القُلُوبِ جَفَافُهَا ... وَتَمْنَعُ توصيلَ العَواطِفِ كالصَّخْرِ
بِهاَ قَلَقُ الخَرْسَاءِ أزْعَجَ أمْنَهَا ... علَى كَثْرةِالمَخْزُونِ خَوْفٌ مِن الفَقْرِ

***

هُنا فى وُرُودِ الرَّوضِ ديوانُ شَاعِرٍ ... عُيونُـك آذانٌ لَـهُ وَسَمَاعُ
فهل تَزدَرِى الشِّعْرَ المَجيدَ لأنَّـه ... كَثيرٌ وقدْ يُشرىَ هُنـاَ ويُبَاعُ
أتُتْقِنُ هذا مِثْلَهُ دونَ لُطْفِهِ ... إذنْ أنْتَ يَـدُ الله أنْـتَ صَنَاعُ
وإلاَّ فما وَجْهُ الإشاحَةِ عِنْدَما ... تَمُرُّ بهذا الشِّعرِ وَهْـو يُـــذَاعُ

***